الوضع الدولي لمدينة طنجة في عهد الحماية

تمهيد إشكالي:

عرف المغرب مجموعة من الضغوط الاستعمارية خلال القرن 19م ومطلع القرن 20م انتهى بفرض الحماية عليه سنة 1912م، فتم تقسيم المغرب إلى منطقتي نفوذ فرنسية وأخرى إسبانية، بينما ظلت طنجة تعيش وضعا خاصا اصطلح عليه بالوضع الدولي.

- فما هو سياق تدويل طنجة وأبعاده العامة؟
- وما هي الوضعية الإدارية لطنجة خلال النظام الدولي؟
- وما هي الوضعية الاقتصادية والاجتماعية لطنجة؟
- وما هي ردود فعل سكان طنجة إزاء التدويل وإسهامهم في الكفاح الوطني؟

I - سياق تدويل طنجة وأبعاده العامة:

1 – سياق تدويل طنجة:

إن جذور الاهتمام الدولي بطنجة يعود إلى نهاية ق 18م، ففي سنة 1794م تم إنشاء مدرسة البعثة الكاثوليكية الإسبانية، وفي نفس السنة انتقل القنصل الفرنسي من الرباط للاستقرار في طنجة، ثم توالت بعد ذلك الأحداث حيث تعرضت المدينة لقصف فرنسي سنة 1844م بحجة الدعم المغربي للأمير عبد القادر الجزائري في مقاومته للاحتلال الفرنسي، وفي سنة 1864م تأسست مدرسة الرابطة الإسرائيلية العالمية، إلا أن الوضع الحالي لطنجة سيبدأ مع سنة 1904م على إثر الاتفاق السري بين إسبانيا وفرنسا حول طنجة، وفي سنة 1912م تم توقيع معاهدة الحماية التي قسمت المغرب إلى منطقة نفوذ فرنسية وأخرى إسبانية، أما طنجة فعاشت وضعية خاصة، وأمام رفض فرنسا لمسألة تدويل طنجة والتي كانت تعبر فيها عن موقف المعارضة المغربية لهذه المسألة، سيتم التوقيع على معاهدة التدويل في 18 دجنبر 1923م بعد سلسلة من المساومات بين القوى الإمبريالية، خاصة بين فرنسا وبريطانيا لتصبح طنجة دولية.

2 – أبعاد تدويل طنجة:

إن أبعاد تدويل طنجة تكمن بالأساس في فقدان المغرب لسيادته على المدينة، بحيث أصبح الأجانب هم سادة طنجة، والقائمين عليها، والمسيرين لها، أما الدولة المغربية فتواجدها ظل صوريا بعد تمثيل السلطان مندوب له بطنجة، وقد تم وضع مجموعة من المؤسسات لإدارة طنجة تميزت بسيادة الأجانب وتهميش المغاربة على مستوى التسيير، ومن بين المؤشرات الدالة على الطابع الدولي لطنجة خلال هذه المرحلة، إنشاء مجموعة من المرافق كالبريد والتلغراف والمدارس التعليمية والمدارس الخاصة، أما العملات التي تداولت في طنجة فتجد: الفرنك المغربي، البسيطة الإسبانية، الفرنك الفرنسي، والجنيه الإسترليني، والدولار الأمريكي، كما اختلفت اللغات المتداولة في الصحافة المكتوبة والإذاعات.

II – الوضعية الإدارية لطنجة خلال النظام الدولي:

أقرت اتفاقية باريس 18 دجنبر1923م أجهزة إدارية متنوعة:

- ✓ المندوب السلطاني: يمثل السلطان المغربي، يحرص على احترام المغاربة للنظام الدولي، يترأس المجلس التشريعي، لكن ليس له حق التصويت.
- ✓ المجلس التشريعي: يتكون من 18 نائبا أجنبيا، و6 مغاربة مسلمين، و3 مغاربة يهود، يسن القوانين التنظيمية.
- ✓ المدير: يتولى المنصب لمدة 6 سنوات، يعينه المجلس التشريعي.
- ✓ الدرك: ينقسم إلى مشاة وخيالة، يهتم بالشؤون الأمنية.
- ✓ لجنة المراقبة: تتكون من قناصل الدول الموقعة على مؤتمر الجزيرة الخضراء، وتجتمع مرتين في الشهر.
- ✓ محكمة مختلطة: تتكون من 7 قضاة، تفصل في النزاعات الجنائية والمدنية والتجارية.

III – الوضعية الاقتصادية والاجتماعية لطنجة:

هيمن الأجانب (الأسبان، الفرنسيون، الانجليز،) وغيرهم على الأنشطة الاقتصادية بمنطقة طنجة من خلال الشركات التجارية والبنكية وأنشطة التهريب، وقد استفادوا من امتيازات متعددة، منها: ضعف أجور العمال، وانخفاض أثمان العقار، وندرة الرسوم الجمركية...، ورغم كونهم شكلوا أغلبية السكان، فقد كانت أوضاع المغاربة جد بئيسة، وزاولوا أنشطة متواضعة كخدام البيوت وتجار وحرفيون صغار.

VI – ردود الفعل تجاه التدويل ومساهمة طنجة في الكفاح الوطني من أجل الاستقلال:

لقد تضافرت الجهود من أجل التصدي للخطط الإمبريالية بمدينة طنجة، فقد عملت الجمعيات على خدمة الحركة الوطنية، خاصة جمعية الشروق، التي أسستها مجموعة من المثقفين بالمدينة سنة **1926**م، والجمعية الهلالية التي تأسست سنة **1928**م، وكلها جمعيات تهدف إلى نشر الفكر الوطني في صفوف المغاربة، وإلى جانب الجمعيات نجد أيضا المثقفون، فقد شكلت زيارة المثقف السوري الأمير شكيب أرسلان إلى المدينة سنة **1930**م حدثا هاما، خاصة وأنه من دعاة القومية العربية، وبناء العالم العربي الموحد، إلا أن الفرنسيين سيعملون على إخراجه من المدينة مخافة تأثير زيارته في السكان معنويا وسياسيا.

أما من داخل المدينة، فقد ظهرت حركة تعليمية إسلامية عملت على التصدي للنفوذ الثقافي الغربي، ونشر الثقافة الإسلامية العربية، وتكونت هذه الحركة من أساتذة وتلاميذ، وفي نفس السياق استغلت الصحافة الوطنية بعض الحرية بمدينة طنجة باعتبارها الجزء الوحيد من البلاد الذي مكن الوطنيين التخلص من موجة القمع ضدهم في المنطقتين الإسبانية والفرنسية لتأسيس مجموعة من الصحف، مثل: "صوت الشعب"، و"الشعب"، و"منبر الشعب" لتدافع عن السيادة الوطنية، كما شهدت المدينة مجموعة من الزيارات السلطانية لفك العزلة عن الشعب المغربي بالمدينة، خاصة زيارة ولي العهد أنداك الأمير مولاي الحسن، وزيارة المغفور له محمد الخامس في أبريل سنة **1947**م وخطابه التاريخي الشهير بالمدينة، والذي فجر حماس الجماهير المغربية، وأصبحت المدينة بذلك عاصمة من عواصم الكفاح الوطني، بل وأصبحت مسرحا لمظاهرات واصطدامات عنيفة في مطلع الخمسينيات، وبذلك كانت بداية المطالبة باستقلال المدينة، وبالتالي استقلال المغرب بكامله ونيله لحريته.

خاتمة:

عرفت طنجة وضعا دوليا فريدا من نوعه في العالم، وكان الوضع يصب في إطار فقدان المدينة لهويتها المغربية، وإضفاء صبغة غربية عليها، إلا أن فطنة المغاربة بقيادة المغفور له محمد الخامس وقفت أمام كل المحاولات الاستعمارية إلى فك ارتباط طنجة بالمملكة، والمطالبة باستقلال المدينة وعودتها إلى سيادة المغرب رغم القمع الذي مورس ضد الوطنيين المطالبين بالحرية.